التأويل والمتشابه من منظور ريخي

Al Taveel and Al Mutahshbah form the Historical Perspective

Hafiz Muhammad Saleem
Phd Scholar department of Arabic
National University of Modern Languages. Islamabad
Saleem.muhammad14@gmail.com

Abstract

Quranic tafsir attempts to provide elucidation, explanation, interpretation, context or commentary for clear understanding and conviction of Almighty's will. Principally, a tafsir deals with the issues of linguistics, jurisprudence and theology. In terms of perspective and approach, tafsir can be broadly divided into two categories. There are different characteristics and traditions for each of the tafsirs representing respective schools and doctrines. This article deals with the meaning and concept of Al Taveel and Al Mutahshbah form the Historical Perspective. The method used in this research is descriptive, analytical and qualitative. At the end, finding and conclusion are drawn.

Keywords: Al Taveel, Al Mutahshbah, Tafsir, approach.

المبحث الأول : التأويل ، لمحة عامة :

تعد مسألة التأويل من أهم المباحث التي عني بها الفكر الإسلامي عموما ، وأصبح التأويل علما من أهم علوم القرآن والمعارف القرآنية

خصوصا ، وبسط آثاره في الفكر والتشريع والكلام ، والفلسفة ، والعرفان ، والفقه ، وأصوله .

قال تعالى : (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴿﴾)[1] ، وقوله سبحانه: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴿﴾)[2] ، وقال جل جلاله : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴿﴾)[3].

ومن هيمنة لفظة ((التأويل)) وثقلها في الآيات موضع البحث ندرك أن العقل البشري قد أستعمل التأويل لتوضيح غوامض اللفظ أو الحدث ، أو الرمز ، لأن كثيرا من الناس أرادوا أن يوضحوا عما يريدون توضيحه ، وفك غوامض كثير من الألفاظ فلا يجدون طريقا يكشف عن ذلك إلا بواسطة التأويل .

وهذه المهمة الجليلة بها حاجة إلى أياد أمينة ، وفكر أخاذ يحسن استخدامه وتطبيقه بعيدا عما حذّ ر منه القرآن الكريم بقوله (ابتغاء الفتنة) .

و التأويل في دقة البحث والتثبت ينطوي على معنيين ، هما : المعنى اللغوي ، والمعنى الاصطلاحي ، وهذا الأخير له في كل حقل من حقول المعرفة معنى مغاير عن الحقول الأخرى ، لتشعب البحث فيه ، وتداعي معانيه . ولما كان الأمر كذلك ، وقع الخلط لدى بعض المتصدين للبحث في جملة من الاشتباهات ، والانحرافات في فهم تفسير النصوص الدينية عموما ، والنص القرآني خاصة .

ومن أجل جلاء الصورة سنحاول الوقوف على المعنى اللغوي للتأويل ونخص المعنى الاصطلاحي في دائرة النص القرآني بوقفة مماثلة .

ا ـ التأويل في (اللغة) :

قال الفراهيدي : آلَ بمعنى رجع[4] ، والآلّ بالتشديد هو« كل ماله حرمة وحق ... كالقرابة ، والرحم ، والجوار ، والعهد ... »[5] ، و « أول ، ابتداء الأمر وانتهاؤه ، أما الأول ، فالأولُ ، وهو مبتدأ الشيء ... ومن هذا الباب تأويل الكلام ، وهو عاقبته وما يؤول إليه وذلك قوله تعالى : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴿﴾)[6] . يقول : ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم غ[7] .

قال ابن منظور : ((وأول الكلام تأوله : دبره وقدّره ، وأوله وتأوله : فسره ، وقوله عز وجل : (وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴿﴾)[8] ، أي : لم يكن معهم علم تأويله . وقيل معناه ، لم يأتهم ما يؤول إليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة ، ودليل هذا قوله تعالى : (كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿﴾)[9] ، وقال الراغب : « التأويل من الأول ، أي الرجوع إلى الأصل ، ومنه الموئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا . و الأول : السياسة التي تراعي مآلها »[10].

والتأويل « تفسير ما يؤول إليه الشيء ، وقد أولته بمعنى »[11] .

و « أولته تأويلا : إذا صيرته إليه ، وأول الكلام تأويلا ، وتأوله » [12].

ويسمى التفسير تأويلا ، إذا « صيرته إليه وذلك إخبار عما يرجع إليه اللفظ من المعنى » [13].

والتأويل عند الطبري ، من آل الشيء إلى كذا إذا صار إليه ورجع : يؤول أولا ، وأولته ، إذا صيرته إليه[14].

ونلحظ من جملة آراء أهل اللغة والتفسير أنها موافقة لما ذهب إليه الطبرسي (ت 548 هـ) من أن التأويل « انتهاء الشيء ومصيره ، وما يؤول إليه أمره » [15]

ويقرر الزركشي ، أن التأويل على علاقة وطيدة بالاستنباط وكلٌّ ما ينسجم مع المعنى اللغوي وهو الاخذ من الأول[16].

ب ـ التأويل في (الاصطلاح) :

لأهمية التأويل وأثره في الفكر الإسلامي ، فقد حظي بالدراسة والمناقشة من العلماء المختصين بعلوم القرآن ، فاهتموا به ودققوا في تعريفه . فعرف بعضهم التأويل بالتفسير ولم يفرق بينهما ، في حين رأى آخرون أن من لم يميز بين التفسير و التأويل لم يعرف من علوم القرآن شيئا ، ليس هذا فحسب ، بل واختلفت عباراتهم في تعريف التأويل وتحديد حقيقته .

وسيشمل هذا المبحث التأويل اصطلاحا لدى كل من القدماء والمحدثين وعلى الوجه الآتي :

1 ـ عند القدامى :

جاء عن الخليل الفراهيدي : « تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه ، والمراد بالتأويل ، نقل ظاهر اللفظ من وضعه إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ »[17] .

نجد أن الخليل ـ رحمه الله ـ يفرق بين التأويل والتفسير من خلال إيضاح مدلولات كليهما ، أي أن التفسير غير التأويل لحاجة التأويل إلى دليل .

في حين يذهب ابن جرير الطبري[18] إلى أن المراد بالتأويل اجتهاد المفسر في ترجيح المقصود من المعاني المختلفة التي يحتملها اللفظ فكأن التأويل ، إخبار عن حقيقة المراد ،

من مثل قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿﴾)[19] ، وتأويل الآية عنده : التحذير من التهاون بأمر الله ، والوعيد لمن يخالف أمر الله بينما تفسير ((لبالمرصاد)) أنه من الرصد ، يقال : ارصدته ، أي : رقبته .

ويعلق ابن كثير على رأي الطبري المتقدم ، أن التأويل في الاصطلاح تفسير الكلام ، وبيان معناه ، سواء أوافق ظاهره أم خالفه ، وقال : هذا ما يعنيه ابن جرير الطبري ، بقوله « القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا »[20] .

و التأويل هو التفسير عند الطوسي (ت 460 هـ) وهو المرجع والمصير[21] ، وبتعريفه هذا فانه يجمع بين دلالتي اللفظ والمعنى ، ويجد مصداق ذلك لدى تفسيره قوله تعالى : (بل كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿﴾)[22] ، يقول « معناه : ما يؤول أمره إليه وهو عاقبته ، ومعناه : متأوله من الثواب والعقاب »[23].

والتفسير عند الراغب (ت 502 هـ) أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ بينما يكثر استعمال التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا وأكثر ما يستعمل في الكتب الالهية [24] .

وقال البغوي (ت 516 هـ) « التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط »[25] .

ويرى الطبرسي أن التأويل « ... رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر »[26] ، ثم قال : « وقيل : التفسير كشف المغطى والتأويل انتهاء الشيء ومصيره وما يؤول إليه أمره ، والمعنى مأخوذ من قولهم : عنيت فلانا ، أي قصدته »[27] .

وفي تحديد المعنى الاصطلاحي للفظ التأويل ، يذهب ابن رشد (ت 595 هـ) إلى المعنى البياني في تعريف المصطلح ، فيرى أن « إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان أهل العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه ، أو بسببه ، أو لاحقه ، أو مقارنه ، أو غير ذلك من الأشياء التي عدّت في تعريف أصناف الكلام المجازي »[28] .

والذي نلحظه هنا أن ابن رشد لا يستند إلى الأصل اللغوي في تحديد المعنى الاصطلاحي للتأويل ،وأن كان تحديده له بدلالة اللفظ المنقول من الحقيقة إلى المجاز.

ويرى العلامة الحلي (ت 726 هـ) التأويل بأنه « احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من الذي دلّ الظاهر عليه »[29]. ويجمع الثعالبي في معرض رأيه بين قول أهل السلف والمتأخرين من الأصوليين والكلاميين وغيرهم لدى تفسيره للفظ التأويل ، فهو يرى أن التأويل عند السلف له معنيان أحدهما : تفسير الكلام وبيان معناه ، وبذلك يكون التأويل والتفسير مترادفين ومآلهما إلى معنى واحد .

والمعنى الثاني : أن التأويل هو المراد بالكلام ، فأن كان الكلام طلبا كان تأويله الفعل المطلوب نفسه ، وإن كان خبرا ،كان تأويله الشيء المخبر به وعليه نفسه : فالتأويل هنا ، بمعنى الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أم مستقبلية ، فإذا قيل : طلعت الشمس ، فتأويل هذا هو طلوعها نفسه وهذا في نظر ابن تيمية هو لغة القرآن التي نزل بها . وعلى هذا فيمكن إرجاع ما جاء في القرآن الكريم من لفظ التأويل إلى هذا المعنى الثاني .

وقد عرض الثعالبي أيضا لقول المتأخرين من الأصوليين والكلاميين في لفظ (التأويل) بالقول أن التأويل،صرف اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به[30] (.ويرى السيوطي (ت 911 هـ)أن التأويل « هو ما ترك ظاهره لدليل »[31] ، ثم قال :

« و التأويل إنما يقبل إذا قام عليه دليل وكان قريبا »[32] « أما البعيد فلا كتأويل الحنفية قوله تعالى : (فإطعام ستين مسكينا) مدّا على أن يقدّر مضاف ... ووجهه البعيد اعتبار ما لم يذكر ، وهو المضاف وإلغاء ما ذكر وهو العدد »[33] .

2 ـ عند المحدثين :

جاء في مجمع البحرين : التأويل « إرجاع الكلام وصرفه عن معناه الظاهري إلى معنى أخص منه ، مأخوذ من آل، يؤول ، إذا رجع وصار إليه »[34] ، ويؤكد الطريحي أن معنى التأويل هو كشف ما خفي من معاني الآيات لفئة معينة من الناس واعتقد أنه قصد بهم (الراسخون في العلم) .

وقال الذهبي « وأما التأويل ، فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل ، والترجيح يعتمد على الاجتهاد ، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب ، واستعمالها بحسب السياق ، ومعرفة الأساليب العربية ، واستنباط المعاني من كل ذلك »[35]. قال الزركشي : « وكان السبب في اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل : التمييز بين المنقول والمستنبط ليحيل على الاعتماد في المنقول ، وعلى النظر في المستنبط »[36] .

أما العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره فقد عرفه بقوله :«إنه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة ، وانه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها وأنه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ ، بل هو من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ وإنما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب ، فهي كالأمثال تضرب ليقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع ، كما قال تعالى :

(وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۞)[37] »[38] .

ثم عرفه بقوله : « ... إن المراد بتأويل الآية ليس مفهوما من المفاهيم تدل عليه الآية سواء كان مخالفا لظاهرها أو موافقا ، بل هو من قبيل الأمور الخارجية ، ولا كل أمر خارجي حتى يكون المصداق الخارجي للخبر تأويلا له بل أمر خارجي مخصوص نسبته إلى الكلام نسبة الممثل إلى المثل والباطن إلى الظاهر»[39] .

والتأويل عند الشهيد الصدر ليس بمعنى التفسير ، قال : « التأويل جاء في القرآن الكريم بمعنى ما يؤول إليه الشيء لا بمعنى التفسير وقد استخدم بهذا المعنى للدلالة على تفسير المعنى لا تفسير اللفظ ، أي : على تجسيد المعنى العام في صورة ذهنية معينة »[40] .

والذي يميل إليه العلامة الصغير في كتابه : (المبادئ العامة لتفسير القرآن) قوله : « وأما التأويل ، فهو ما لم يكن مقطوعا به وكان مرددا بين عدة وجوه محتملة ، فيؤخذ بأقواها حجة ، ابرمها دليلا ، فيوجه عليه المعنى على أساس الفهم واللغة وإعمال الفكر »[41].

وفي ضوء هذا فإن التأويل عنده يسيغ توجيه اللفظ إلى معنى مردد بين عدة معان مختلفة يستنبط أحدها بما توافر فيه من الأدلة ، قد يدل على المراد من قوله تعالى ، وقد لا يبدل ، ولكنه أمر محتمل ، ثم ينتهي الدكتور الصغير إلى تأكيد المآل النهائي للتأويل بأن دلالته ظنية ، وتكون هذه الدلالة قطعية في حال صدورها عن المعصوم[42]، وهذا من باب التباين التام بين التفسير والتأويل « لان التفسير جزء من علم النص والتأويل جزء من الحكمة العقلية لوقوف الأول على الظاهر المتبادر ولوقوف الثاني على الباطن ، ولأن التفسير قطعي ، والتأويل اجتهاد لأنه ترجيح لأحدى المحتملات دون القطع »[43] ، ولأن

التأويل لا يعني مجرد الكشف والإبانة عن المعنى بل يعني شيئا آخر وهو ما يؤول إليه الشيء [44].

فالتأويل « يصبح مهيمنة لا مناص منها ، لأنه يبتغي المعنى في النص والنص يؤسسه أسلوب قائم أساسه على المتحول ، وأن ثمة علاقة بين صور المعاني وذلك التحول »[45].

ويدعو أحد الباحثين إلى « تكوين إطار معين للتأويل الذي يرتكز على إخراج اللفظ من حقيقته الموضوعة له في أصل اللغة إلى خصيصة التعبير التي تنطوي تحتها دوال المعنى ما دام الهدف منها المعنى المبتغى الذي يرومه المتكلم وأن طريقة الوصول إلى أي معنى مبتغى ستكون حاضرة في اللغة على وفق قدرة المبدع في اختيار طرائق الإبداع والانتقال من واحدة إلى أخرى »[46] ، فالتأويل « يتصل بأشكال التعبير الظاهرة وردها إلى مستوى أصلي لينكشف المعنى بالدلالة الوضعية ، وبيان أن الخروج عن مألوف العبارة لا يبدل من ذات المعنى وإنما هو معنى إضافي يتركب على المعنى الأصلي »[47].

ويتضح هنا من أن التأويل « استخراج مجهول من معلوم يستوجب الانطلاق من مقدمات تصون التأويل عن الزلل وتقنع بسلامة النتيجة واستقامة الاستنتاج » [48].

من قراءة التعاريف نستخلص الآتي :

أن التأويل هو عبارة عن بيان الحقيقة الخارجية للشيء كبيان المقصود بقوله تعالى : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴿﴾) [49] بأن الكرسي كناية عن الملك والسلطان ، فالحَقيقة الخَارجية للكرسيِ في هذه الآية ، هو الملك والسلطان وليست الكرسي المادي المألوف في عالم الإنسان ، فهو تعبير مجاز وليس تعبير حقيقة ، وبهذا نجد أن المعنى الاصطلاحي للتأويل لم يتعد كثيرا عن معناه اللغوي الذي ورد بمعنى (الأول) أي الرجوع ، أي إذا رجع إلى الأدلة العقلية في عملية الكشف وإظهار مضمون النص .

وليست بنا حاجة للغوص بعيدا في العمق التاريخي لمصطلح (التأويل) فالمسألة واضحة في قدم المصطلح التاريخي ، إذ أرجعه بعض الباحثين إلى أيام أفلاطون ، الذي دعا إلى توحيد التأويل بين الدلالات الخارجية للنص مع الحقيقة وعلى هذا صار التأويل جزءا من الفكر يلزم أن يتحدد بمنهج يفصله عن الواقع[50] .

من هنا نجد التأويل يرتكز أساسا على الأنظمة الدلالية التي يتأسس عليها النص ، وبذلك سيكون النص رهين العلاقات سواءا كانت بين الدال والمدلول على المستوى اللفظي أ م بهيمنة السياق أو ما يذهب إليه البعد الدلالي للغة وما تحدثه البلاغة عبر دلالات الحضور والغياب (الحذف) أو أساليب البيان المختلفة علما أن التأويل وسيلة المفسر للنص في الوقت الذي يتطلب المؤدي أن يكون به وعي دائم وغير منكفئ ذهنيا عن متطلبات الحوار الفكري ـ الذهني الذي يعود له الفضل في التزام التأويل بوصفه مفهوما موصلا إلى القناعة التفسيرية .

المبحث الثاني : المتشابه لمحة عامة:

معاني المتشابه :

1ـ المعنى اللغوي : التشابه في اللغة ،كلمة تدل على المماثلة والمشاكلة بين الشيئين ، يقال : تشابها ، واشتبها : إذا أشبه كل واحد منهما الآخر ، حتى التبسا ، والشُّبهةُ ، بالضم : الالتباس ويقال : شبّه عليه الأمر تشبيها : إذا لبّس عليه حتى لا يستطيع أن يميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه ، عينا كان أو معنى ، قال تعالى (وما قَتَلُوه وما صَلَبُوه ولَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ)[51] . وقال تعالى (وأُتُوا به مُتَشَابِهًا)[52] . أي يشبه بعضه بعضا لونا وشكلا ، لا طعما وحقيقة ، ومنه ، قوله تعالى ، حكاية عن بني إسرائيل : (إنَّ الْبَقَر تَشَابه علَينَا)[53]. أي تماثل والتبس ، فلا ندري أي بقرة نذبح ، وقوله تعالى :

(تَشَابَهَت قُلُوبَهم ﴿﴾)[54] . أي : في الغي والجهالة واشتبه الأمر عليه: اختلط . والمتشابه :النص القرآني يحتمل عدة معان[55] .

وقال صاحب المنار : « والمتشابه في اللغة ، يطلق على ما له أفراد أو أجزاء يشبه بعضها بعضا ، وعلى ما يشبه من الأمر ، أي : يلتبس »[56] .

والمتشابه من مادة التشابه التي تدل على المشاركة ، والمماثلة ، والمشاكلة المؤدية إلى معنى الالتباس ، ومنه قوله تعالى : (إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴿﴾)[57]. بمعنى : التبس واختلط علينا ، وقوله تعالى ، في وصف ثمر الجنة : (وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴿﴾)[58] . بمعنى : متفق المناظر ، مختلف الطعوم[59] .

2 ـ المعنى القرآني : وقد اقتضت طبيعة المبحث أن يقسم على قسمين :

القسم الأول : التشابه ، بمعنى التماثل والتقارب :

والتشابه قد وقع وصفا للكتاب كله لما ورد في قوله تعالى : (كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴿﴾)[60] ، وما أراده الله في هذه الآية كون آيات الكتابَ ذَا نسق واحدَ من حيث جزالة النظم وإتقان الأسلوب ، وبيان الحقائق ، والحكم والهداية إلى صريح الحق ، فهذا التشابه وصف لجميع الكتاب[61]. قال الرازي « وأما ما دلّ على أنه بكليته متشابه فهو قوله تعالى : (كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ ﴿﴾)[62] ، والمعنى : أنه يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدّق بعضه بعضا »[63] , وأقوال هذا التشابه يحصل في أمور :أحدها : إن الكاتب البليغ إذا كتب كتابا طويلا فانه يكون بعض كلماته فصيحا ، ويكون بعضه غير فصيح ، والقرآن يخالف ذلك فانه فصيح كامل الفصاحة بجميع أجزائه . ثانيها : إن كل ما فيه من الآيات ، والبيانات فانه يقوي بعضه بعضا ، ويؤكد بعضه بعضا .

وثالثها : إن هذه الأنواع الكثيرة من العلوم التي عددناها متشابهة متشاركة في أن المقصود منها بأسرها ، الدعوة إلى الدين ، وتقرير عظمة الله ، ولذلك فانك لا ترى قصة من القصص إلا ويكون محصلها المقصود الذي ذكرناه ، فهذا هو المراد من كونه متشابها[64] .

« ومعنى : كتابا متشابها ، أي : يشبه بعضه بعضا ، ويصدّق بعضه بعضا »[65]. و« كونه يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والإعجاز عندما وصف القرآن »[66] و « معناه : انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ »[67] ، « والمراد أنه يشبه بعضه بعضا من الحسن والإعجاز والبراءة من التناقض »[68]،« أي يشبه بعضه بعضا في هدايته وبلاغته وسلامته من التناقض والتفاوت والاختلاف »[69].

وصف القرآن آياته كلها بالمتشابه ، جاء ذلك في قوله تعالى : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحسن الْحَديث كتَابًا مُتَشَابِهًا﴿﴾)[70]، وقصد بالتشابه هنا :« التماثل والإتقان والبلاغة والأهداف والاتِّسَاقَ حتى أنكَ لا تستطيع أن تفاضل بين كلماته وآياته في هذا الحسن والأحكام والإعجاز ، كأنه حلقة مفرغة لا يدري أين طرفاها »[71] . قال الشيخ محمد جواد مغنية في تفسير المتشابه « إن بعضه يشبه بعضه في البلاغة والهداية »[72].

وطبقا لما تأسس أنفا فان العلماء قد اتفقوا على كون القرآن كله محكما ، وكله متشابها ، ولا تعارض في ذلك ، لأن المراد بإحكامه إتقانه وعدم تطرق النقض والاختلاف إليه ، أي : يشبه بعضه بعضا في الكمال ، والجودة ، والحسن ، والصدق ، والحق ، والهدى ، والنفع ، ويصدق بعضه بعضا في المعنى ، ويماثله ، فهذا معنى التشابه العام الذي وصف الله به كتابه في قوله تعالى : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴿﴾)[73] م

الثاني : التشابه : مايقابل الإحكام :

وصف القرآن الكريم آياته بأن فيها المحكم والمتشابه ، أي : فيه ما يدل على أن بعضه محكم ، وبعضه الآخر متشابه ، جاء هذا الوصف في قوله تعالى : (هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ منْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَاب وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)[74] .

ودليلنَا على ذلك أن الآيات المحكَمات واضحة الدَلالة على مراد الله ليس فيها اشتباه ، أو إشكال ، ولا يتطرق إليها التأويل أو الاحتمال أما الآيات المتشابهات فهي التي لا يتضح معناها مباشرة ويشبه لفظها غيرها ، وتشتبه معانيها مع آيات أخر ، فهي مأخوذة من المعنى العام للتشابه ، وهي مشابهة الشيء لغيره من وجهة مع مخالفته له من وجهة أخرى ، فالآيات المتشابهات هي التي تشبه هذا وتشبه هذا ، فتكون محتملة لمعنيين أو أكثر خلافا للآيات المحكمات .

قال السيد الطباطبائي : « المراد بالتشابه كون الآية بحيث لا يتعين مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها ، بل يتردد بين معنى ومعنى حتى يرجع إلى محكمات الكتاب ، فتعين هي معناها وتبينها فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة بواسطة الآية المحكمة ، والآية المحكمة محكمة بنفسها »[75] .

3 ـ المعنى الاصطلاحي :

قال أبن عباس « والمتشابه ما أحتمل أوجها ، وهو ما دأب عليه الأصوليون »[76] ، وقد ورد في تفسير العياشي : « سئل الإمام الصادق (ع) عن المحكم والمتشابه ، عن مسعدة بن صدقة : والمتشابه ما أشتبه على جاهله »[77] .

« وقد يقال : لكل ما غمض ودقّ ، متشابه ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبهة بغيره ، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المقطعة في أوائل السور المتشابه »[78]. والمتشابه هو متشابهات في التلاوة ومختلفات في المعنى[79].

قال الشيخ المفيد : « المتشابهات محتملات لا يتضح مقصودها إلا بالفحص والنظر»[80].«

والمتشابه : ما كان المراد به لا يعرف بظاهره بل يحتاج إلى دليل ، وذلك ما كان محتملا لأمور كثيرة ، أو أمرين لا يجوز أن يكون الجميع مرادا ، فانه من باب المتشابه ، وإنما سمّي متشابها لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد »[81] .

قال الراغب : « المتشابه في القرآن ، ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره ، أما من حيث اللفظ ، أو من حيث المعنى ، فقال الفقهاء : المتشابه ما لا يتبين ظاهره عن مراده »[82] , « والآيات المتشابهات ، هي التي تحتاج إلى تأويل ويظهر فيها ببادئ النظر ، إما تعارض مع أخرى ، أو مع العقل »[83] .

قال الفخر الرازي في تعريف المتشابه : « إن اللفظ إما أن يكون نصا أو ظاهرا أو مؤولا ، أو مشتركا ، أو مجملا ، وأما المجمل والمؤول فهما مشتركان في أن دلالة اللفظ عليه غير راجحة ، وإن لم يكن راجحا لكنه غير مرجوح لا بحسب الدليل المفرد , فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمتشابه »[84].

وقد ورد في تشابه القرآن ومختلفه ، ما عرفه ابن شهر آشوب « والمتشابه ما لا يعلم المراد منه بظاهره حتى يقترن ما يدل على المراد منه لالتباسه »[85].

« إن المتشابه ما يحتمل وجوها ثم إذا ردت الوجوه إلى وجه واحد ما بطل الباقي صار المتشابه محكما »[86] .

قال ابن كثير في تعريف الآيات المتشابهات : « أي : تحتمل دلالتها موافقة المحكم ، وقد تحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب »[87] .

قال الزركشي :« وأما المتشابه فأصله أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني ، كما قال تعالى : (وَأُتُوا به مُتَشَابِهًا ﴿﴾)[88] »[89] . « والمتشابه هو الذي يخلو من الدلالة الراجحة على معناه »[90] .« والمتَشابهات هي التي دلت على معان في أن يكون كل منها هو المراد ، ومعنى تشابهها أنها في صحة القصد إليها ، أي : لم يكن بعضها أرجح من بعض »[91] .

وقد رجح صاحب المنار قول الشيخ محمد عبده في تعريف المتشابه بقوله : « التشابه إنما يكون بين شيئين فأكثر ، وهو لا يفيد عدم المعنى مطلقا »[92]. ووصف المتشابه في الآيات المتشابهة باعتبار معانيها ، والمعنى ، وجود معان متشابهة في فهمها من اللفظ ولا يجد ا لذهن مرجحا لبعضها على بعض[93].

وقد اختار الشيخ محمود شلتوت تعريفا للمتشابه ، حيث قال :« فلنا أن نختار في معنى المتشابه ذلك الرأي الذي يرجع إلى اختلاف الدلالة واحتمال المعاني المختلفة في آيات الأحكام وآيات المعارف ... ولنا أن نختار رأي الخلف من المتكلمين الذين يصرفون اللفظ عن ظاهره إلى معنى يليق بجلالة الله وتنزيهه »[94] .

وعرف السيد الخوئي (قدس) المتشابه :« أن يكون للفظ وجهان في المعاني أو أكثر ولم يتعين أحدهما حتى تقوم قرينة تدل عليه »[95] . « والمتشابه حسب المصطلح القرآني هو اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني وكان موضع ريبة وشبهة »[96]. وهو عند محمود البستاني « ما يحتمل أكثر من تأويل »[97] .« وهو اللفظ الذي خفيت دلالته على معناه لسبب في نفسه بحيث لا ترجى معرفته ولم توجد قرينة تدل عليه »[98]. وقد ورد التعريف على لسان الشهيد

الصدر (قدس) : « والمتشابه ، ما يدل على مفهوم معين تختلط علينا صورته الواقعية ، ومصداقه الخارجي»[99] .

والناظر في كل ما تقدم من المعاني الاصطلاحية للمتشابه أن العلماء يكادون يجمعون على التقارب في الآراء فيما بينهم لأنهم ـ كما أرى ـ يصدرون من مشرب الثقافة القرآنية وما أجمع عليه أهل السلف الصالح فاللاحقون بهم وان تمايزت العبارة لدى كل منهم واختلف الأسلوب غير أن الاتفاق في المضمون هو السائد .

المصادر والمراجع

---

[1] سورة الإسراء / 35 .

[2] سورة آل عمران / 7 .

[3] سورة الأعراف / 53

[4] الفراهيدي، العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ، ط 2 ، مطبعة صدر مؤسسة دار الهجرة (1409هـ)، ج8 ص369

[5] الزبيدي، محمد بن محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس في جوهر القاموس ، 1205هـ، مكتبة الحياة ـ بيروت ، د . ط ، د . ت . ص313 .

[6] سورة الأعراف / 53 .

[7] ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 / 1404هـ، ج1 ص160 .

[8] سورة يونس / 39 .

[9] سورة يونس / 39 .

[10] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن ، (ت 502هـ) تحقيق :محمد خليل ، ط 3 /دار المعرفة ـ بيروت 1422هـ ـ 2001م ، ص 31 مادة (أول) .

[11] تاج اللغة وصحاح العربية،الجوهري (اسماعيل بن حماد) (ت 393هـ) تحقيق : احمد عبد الغفور عطا ، دار الكتاب العربي ـ القاهرة / 1956م ، مادة (أول) ج4 ص1627 .

[12] الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين ، القاموس المحيط ، المطبعة الأميرية ط 3 / 1352هـ ـ 1933م . ج3ص331

[13] المعجم في فهم القرآن وسر بلاغته ، إعداد : قسم القرآن بمجمع البحوث القرآنية ، بإشراف : محمد واعظ الخرساني ، مؤسسة الطبع التابعة للإستانة الرضوية المقدسة ، ج4 ص238 .

[14] الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر بيروت 1408هـ ـ 1988م . ج6 ص190 .

[15] الطبرسي، أبو علي الفضل الحسين، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج1 ص29 .

[16] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن، الاتقان في علوم القرآن ، (ت 911هـ) . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم د . ط ، د . ت . ظ ج4ص 168 .

[17] الفراهيدي، العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد، ج8 ص369 .

[18] الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر بيروت 1408هـ ـ 1988م . ج 1ص 11 .

[19] سورة الفجر / 14 .

[20] الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج1 ص11 .

[21] الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن ، (ت 460هـ) تحقيق : احمد القصير واحمد شوقي الأمين ، ط 1 / 1409هـ / طبع ونشر مكتب الإعلام الإسلامي، ج2 ص399 .

[22] سورة يونس / 39 .

[23] الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن ، (ت 460هـ) تحقيق : احمد القصير واحمد شوقي الأمين ، ط 1 ج5 ص380 .

[24] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن ، خرج أحاديثه وعلق عليه : مصطفى عبد القادر عطا، ج2ص149 ..

[25] تفسير البغوي ، المسمى (معالم التنزيل) ، البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي) (ت 516هـ) تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، دار المعرفة بيروت ـ لبنان ، ج1 ص18 .

[26] الطبرسي، أبو علي الفضل الحسين، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج1 ص80 .

[27] المصدر نفسه ج1 ص80 .

[28] ابن رشد، أبو الوليد محمد بن احمد، فصل المقال في ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ، (ت 595هـ)، المؤسسة العربية ، للدراسات والنشر ، بيروت ط 3 / 1986م ، ص 32 .

[29] الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر، مبادئ الوصول إلى علم الأصول ، (ت 726هـ)تحقيق : عبد الحسين محمد علي ـ منشورات مركز النشر ـ مكتبة الإعلام الإسلامي / قم 1404هـ ، ص155 .

[30] الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوق المالكي، تفسير الثعالبي ، (المسمى : الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ، (ت 875هـ)، تحقيق : الدكتور عبد الفتاح أبو سنة ـ والشيخ علي معوض والشيخ عادل احمد ـ مطبعة دار إحياء التراث العربي ط 1 / 1418هـ، ج1 ص44 .

[31] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، التحبير في علم التفسير، (ت 911هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت د . ط ، د . ت ، ص 110 .

[32] المصدر نفسه ص 110 .

[33] المصدر نفسه ص 110 .

[34] الطريحي، الشيخ فخرا لدين، مجمع البحرين ، (ت 1085هـ) تحقيق : احمد الحسيني ، الناشر : مكتبة الثقافات الإسلامية ط 2 / 1408هـ ، ج5 ص311ـ 314 .

[35] معرفة، الشيخ محمد هادي، التفسير والمفسرون ، ، مؤسسة الطبع والنشر / الاستانة ، ط 2 / 1426ف ـ 1384ش، -ج1 ص23 .

[36] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن، الاتقان في علوم القرآن ، (ت 911هـ) . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم د . ط ، د . ت . ظ ج2 ص183 .

[37] سورة الزخرف / 2 ، 3 ، 4

[38] الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ، ج 3ص49 .

[39] المصدر نفسه ج3 ص46 .

[40] الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن ، ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ط 3 / 1415هـ ـ 1995م . ص 253 .

[41] الصغير، د . محمد حسين علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ص 23 .

[42] الصغير، د . محمد حسين علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ص 23 .

[43] زاهد، د . عبد الأمير، التأويل وتفسير النص ـ مقارنة في الإشكالية ، ـ مجلة السدير ، عدد / 4 ص 6 .

3 ـ المصدر نفسه ص 6 .

[44] المصدر نفسه ص 6 .

[45] عنوز، د . صباح عباس، البيان من مهمته البلاغية إلى الوظيفة التأويلية ، ، مجلة جامعة القادسية ع 1 ـ 2 / مج 11 / 2008م

[46] عنوز، د . صباح عباس، النص الأدبي من التكوين الشعري إلى أنماط الصورة البيانية وهيمنة التلوين الشعري ، ، المطبعة الدار البيضاء والتصميم ، ط 1 / 1426هـ ـ 2005م ، النجف الاشرف ص 2 .

[47] الفكر البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره ، حمادي حمود ص 329 .

[48] المصدر نفسه ص 329 .

[49] سورة البقرة / 255 .

[50] زاهد، د . عبد الأمير، التأويل وتفسير النص ـ مقاربة في الإشكالية ، ص 8 .

[51] سورة النساء / 157 .

[52] سورة البقرة / 25 .

[53] سورة البقرة / 70 .

[54] سورة البقرة / 118 .

[55] ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، ج3 ص243 .

[56] رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم ،الشهير بتفسير المنار ، دار الفكر للطباعة ولنشر والتوزيع ، د . ط ، د . ت . ج3ص163 .

[57] سورة البقرة / 70 .

[58] سورة البقرة / 25 .

[59] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن ، خرج أحاديثه وعلق عليه : مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت 1422هـ ـ 2001م ، ج2 ص69 .

[60] سورة الزمر / 23 .

[61] الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الإمام المنتظر (عج) إيران ـ قم 1425هـ ـ 2004م ، ج3 ص21 .

[62] سورة الزمر / 23 .

[63] الرازي، فخر الدين بن العلامة ضياء الدين، تفسير الفخر الرازي، الشهير بمفاتيح الغيب الرازي ، (ت 604هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ط ، د . ت. ج7 ص180 .

[64] المرجع نفسه: ج7 ص180 .

[65] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (ت 671هـ) خرج أحاديثه محمد بن عبادي ، وأحمد بن شعبان بن أحمد ، مكتبة الصفا ـ القاهرة / 1425هـ ـ 2005م ج8 ص 4 .

[66] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن، الاتقان في علوم القرآن ، (ت 911هـ) . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم د . ط ، د . ت . ظ ج2 ص 2 .

[67] القوجي، محمد بن مصلح الدين مصطفى الحنفي، حاشية محيي الدين شيخ زادة (ت 951هـ) على تفسير القاضي البيضاوي (685 هـ) ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين ـ منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ج3 ص 12

[68] النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (ت 850هـ) ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ج2 ص 104 .

[69] رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم ،الشهير بتفسير المنار ص 163 .

[70] سورة الزمر / 23 .

[71] الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ، دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط 3 / 1373هـ ـ 1953م ،ج2 ص167 .

[72] سورة الكاشف 2 / 12 .

[73] سورة الزمر / 23

[74] سورة آل عمران / 7 .

[75] الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ، ج3 ص21 .

[76] الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن ج2 ص 68 .

[77] العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي ، تفسير العياشي ، تحقيق : هاشم الرسولي ، المكتبة العلمية الإسلامية ـ طهران ، د . ط ، د . ت. تفسير العياشي ، ج1 ص85 .

[78] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق: سيد صقر ، دار التراث / 1973م، ص 95 .

[79] الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج3 ص233 .

[80] الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان، النكت الإعتقادية ، المكتبة العصرية ـ بغداد 1343هـ ص 226 .

[81] الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن ، (ت 460هـ) تحقيق : احمد القصير واحمد شوقي الأمين ، ط 1 ج1 ص 10 .

[82] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن ، ص 254.

[83] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ (ت 541هـ) تحقيق : المجلس العلمي بـ (فاس) 1413هـ ـ 1992م ، ج 3ص 17 .

[84] الرازي، فخر الدين بن العلامة ضياء الدين، تفسير الفخر الرازي، الشهير بمفاتيح الغيب ج7 ص181

[85] ابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني، متشابه القرآن ومختلفه ، ط 3 / مطبعة أمير قم ، د . ت . ص 2 .

[86] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ت ج4 ص 9 .

[87] ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ، طبع ونشر دار المعرفة ـ بيروت 1412هـ ج1 ص 352 .

[88] سورة البقرة / 25 .

[89] سورة البرهان 2 / 69 .

[90] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن، الاتقان في علوم القرآن ، (ت 911هـ) . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم د . ط ، د . ت . ظ ، ج 2ص 5 .

[91] ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ، ، نشر دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ، د . ط ، د . ت . ص 155 .

[92] رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم ،الشهير بتفسير المنار ، ص 164 .

[93] المصدر نفسه ص 164 .

[94] تفسير القرآن الكريم ، محمود شلتوت ، د . ط ، د ص 60 .

[95] البيان في علوم القرآن ص 272 .

[96] معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن ، ـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المشرفة . ج3 ص 6 .

[97] البستاني، د . محمود، دراسات في علوم القرآن الكريم ، ، الناشر : مدينة العلم ، ط 1 / إيران ـ قم 1427هـ ـ 2007م ص 141 .

[98] عليان والدوري، د . رشدي والدكتور قحطان عبد الرحمن، علوم القرآن ، ، مطابع مؤسسة دار الكتب ، للطباعة والنشر ، بغداد 1980م ، د . ط ص 116 .

[99] الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن ، ص 192 .